من روائع أدب الغرب

ناقوس القرية

LA CLOCHE DU VILLAGE

لشاعر الحب والجمال : ألفونس دى لامرتين

الحياة : موجة فى خضم تاوهات ، صبرها الشهد ، كأس المجد ، تملأ بالعبرات .
« لامرتين »

كالزفرات تعلو خفقات الناقوس الخاشع المتئدة . الأحراج تمسكها . الوديان تبددها . يد الصغير ، توازن كأسه ، وتفرغ نغمات الأرض العلوية ، فى نسيم الليل المدلهم .

رجف من أصواته العالية ، جزع من خفقاته المتوالية . البلبل يطير تاركا بيته المضطرب . مياه الغدير المتموجة ، تجنى الأزهار اليانعة من جوانبه . أرملة القرية ، تركع لصدى نغماته تترك خيط مغزلها لترسل الرحمات للموتى .

يوقظ فى قلبى ، غناء هذا البرج الرنان ...

لاسرور النهار الذى انتهى ،

ولا بؤس اليوم الذى انقضى ،

ولاصور الماضى الفتية ، والذكريات الغنية ، التى تهدمت فى هذه الطرقات بين الأنوار الذابلة .

لانومى الهادىء فى ظلال أغصان الدلب الندية ،

ولا أول نسمة فى حياتى ،

ولا صوت أقدامى التائهة ، فوق هذه الذروات العالية ،

ولا السرور العظيم تحمله إلى موجاتك يانسيم الصبا ، المثقل بالروائح العطرة التى لاتنضب .

لا ذكرى الجواد الواقف فى المرج وقد لوى عنقه الحريرى على يدى المدربة ، ومزج ضفائر عنقه ، بشعرات رأسى الشقراء ، والأرض ترن تحت سنابكه القوية كالسندان ، بينا ردفه يحملنى ، وزبد شدقيه يكسو فضة ناصعة حشائش الوادى .

لا الحب نفسه ...

الحب ، الفجر الأول فى الحياة .

حيث شهور الربيع تجرى ماء الحياة فى نسغ النبات ، فتزهر العقول وتخضر الأحراج .

فى الظلال أصوات العذارى الحاملات الجرار لملئها من الينبوع ، تصل لسمعى وئيدة ، فتدب فى جسدى الرعشة

ولا أنت ...

أنت التى أبكيك أبداً ،

الفورة الأولى لدمى ،

صوت الفؤاد الذى يفنى ، ويوقظ فى روحى الدمدمة السحرية ، معطرة بالعنبر ، فتنثر فى الأجواء رياح الشعر

أواه . أيها المجد ، ولا أنت ...

لا الشتاء يحمل اليك دون أسف أيامى مع بقايا الأعشاب الفارغة من الحب .

ونثرات الأوراق الذابلة ، وصدى المجد الفارغ .

أعشاب الطريق ، مزروعات علوية ، تعطر الأقدام ، ولكن جذورها لا تغرس فى القلوب .

لاأكاليل الأعراس ، يقطفون زهورها فى المساء ، فيسممها الحقد ، ويذبلها الحسد .

ولا ما يهب الحياة نشوة ، تاج المجد المحطم تحت يدى .

الزهرات المعارة ، لا تمسكها ساق ، تذبل وتجف ، ثم تقع من فوق الجبين

* * *

هو ذاك اليوم .

أصواتك ممتزجة بزفرات امرأة ، مختضلة بالعبرات ، مترعة باليأس ، رنت فى أرجاء الوادى ، تبكى نعشين مرا ، يجللهما الحزن ، ويسبل عليهما الألم رداءه ،

فى قبر واحد ، دفنت أرواح ثلاثة ونسيت على حافة اللحد .

من الفجر حتى الليل ، من الليل حتى الفجر ، تذرف الدمع أيها الناقوس . كأذرفه . تجمع بين قلبينا زفرة محرقة . الأهوية والسماء تردد نواحك ، كما لو فقد كل كوكب أمه ، وكل نسيم ولده .

من ذلك اليوم رناتك المقدسة ارتسمت فى ذاكرتى المفجعة . وامتزجت بكأس آلامى المترعة . اختلطت زفراتك بأصوات قلبى ، وترددصداها فى أنحائه . معدنك الرنان المغموس فى اللهيب يماثلى عند ما يبكى ، هو قطعة من روحى ، يوقع عليها ملاك نغماتك .

أرقد لغفلتك ، وانهض ليقظتك . صوت نعيك ، صديق تسمعه أذناى . بين رنين الأجراس ،أفرق نغمتك . تغمرنى موجاتك . كالأجراس تعلو فى جنباتها رنات بعوضة طائرة .

أقول لنفسى : هذه الزفرة الحزينة المبهمة، يحملها إلى نسيم الليل العميق ، موجة إثر موجة . أواه ! لأجلى تتردد هذه الأصوات العالية . أفهم ما يقول . ويدرك ما أفكر . والهواء الجاهل فى هذا السكون المحتدم يحمل إلى لهجته المؤثرة .

أقول لنفسى : صوت هذا المعدن المتردد ، قبل أن يصل إلى قلبى ، ويغمر جنباته ويغرق قطعاته ، اهتز فوق أطلال الماضى الراقد ، يحمل إلى من بقايا قبته المتهدمة أشياء .

حجر القبر ، حيث دفن حبى ، يقرع بهذا اللحن العذب .

لا تعجب ياولدى إذا اهتزت أفكارى لأصوات هذا الناقوس . مغرم بصمته الأمين للردى . لأول رنة تختلج تحت قبته أقف مصغيا لما يحمله إلى الحمام

أما أنت ، مذياع الحزن البشرى الذى اخترعته الأرض لتجهر بآلامها . غن نشيد القلوب المحطمة الرائع ، فزفراتك تهب الأحجار روحاً ، والمقل الجافة دموعاً ، والصلاة خشوعاً أبدياً ، والقبور حزناً سرمدياً .

* * *

عند ما يحمل العمال نفسى وبقايا حطامى ، تبقى هنا روحى تقذف حممها الملتهبة نحو السماء . الباكون ، حاشية باردة ، تسير خلفى ،اتضع جسدى ،تحت باب حقير ، ترتمى عليه أشعة الشموس.

إذا يدُ ورعة قرعت لك شرفى . فلا تحزن مخلوقا بزفراتك المتصاعدة . لا تنشر الدموع فى الأفق . التمس جرس العيد واقرع فوق لحدى ، برنة سلسلة سجن قرحة تقع على عتبته غرد كالعندليب لحناً خالداً ، يرتفع من منزلك ، والسوط الأسمر يوجه نحو فجر النهار خفقته المحزنة .

غن أنشودتك المترددة فى أعماق السموات تطفئ شهوة الخصوم المتشبثين بأدران الحياة .

إليك

اقرع قبل اليوم ، دق رويدا الساعة . صديق فى منزلى الحقير ، يحضر ليضئ فى هذا القلب المهدم ، الحزن العميم ، ويترك قبل أن يذهب قطرتين من العطر تضمخان طويلا كفنى .

حسين تفكجى

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

فى بلاد المدنية :

ذهبت بعيداً طائراً فى أجواء المستقبل فارتعشت وذعرت عند ما نظرت ما حولى فما وجدت من معاصر لى غير الزمان . وليت الأدبار مسرعا حتى وصلت إليكم ، يارجال اليوم ، ونزلت بينكم فى بلاد المدنية ، فألقيت عليكم أول نظراتى بصفاء نية لأننى جئتكم بقلب مصدوع ، ولا أعلم ما أهاب بى إلى الضحك بالرغم من ارتياعى ، فان عينى مارأت من قبل مثل هذه الخطوط والألوان .

ذهبت فى ضحكى وقد ارتعش قلبى واصطكت رجلاى فقلت فى نفسى (لعل هذه مصانع آنية المواد الملونة) .

لقد برزتم أمامى يارجال اليوم ، وعلى وجوهكم وأعضائكم من الألوان عشرات الأنواع ، وحولكم عشرات المرايا تعكس تموجات ألوانكم ؛ والحق أنكم لا تستطيعون أن تجدوا ما تتقنعون به أشد غرابة من وجوهكم نفسها ، يا رجال اليوم ، فمن له أن يعرف من أنتم ؟

لقد حفر الماضى فى وجوهكم آثاره فألقيتم فوقها آثاراً جديدة ، لذلك خفيت حقيقتكم عن كل معبر وأعجزت كل بيان .

ولو كان لأحد أن يفحص الأحشاء فهل بوسعكم أن تثبتوا أن لكم أحشاء وما أنتم إلا جبلة هباب ألوان وقطع أوراق ألصقت إلصاقا . وهذه جميع الأزمنة وجميع الشعوب تتزاحم مرسلة نظراتها من وراء قناعكم كما تفصح جميع حركاتكم عن تراكم كل العادات والمعتقدات فيكم . فاذا ما نزعت أقنعتكم وألقيت أحمالكم ومسحت ألوانكم ووقفت حركاتكم فلا يبقى منكم إلا شبح ينصب مفزعة للطيور .

والحق ، ما أنا إلا طائر مروع ، لأننى رأيتكم يوماً عراة لا تستركم ألوانكم فاستولى الذعر على إذ انتصبتم أمامى هيا كل